الملتقى الدولي: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية بين سياقات حرية التعبير وخطاب الكراهية 29/28 ديسمبر 2021

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر

الترجمة سبيلا للتصدي لخطاب الكراهية والإسلاموفوبيا

Translation as a way to counter hate speech and Islamophobia

حنان رزيق [1] *، مريم بن لقدر [2]

[1] جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، الجزائر hanane.rezig@univ-alger2.dz

[2] جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، الجزائر meriem.benlakder@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال: 2022/05/15 تاريخ القبول: 2022/09/06 تاريخ: النشر: 2022/10/01

الملخص:

إنّ الصراع بين الشرق والغرب والترقب الغربي لكل ما هو إسلامي يمتد عمره لقرون من الزمن، ومع ذلك مازال متأججا وإن اختلفت أسلحته وتباينت أساليبه فهو أطول صراع ديني في التاريخ وإن تغيرت أشكاله، إذ أنّ أغلب الخلافات والصراعات بين الشرق والغرب يعود سببها إلى الخوف من المد الإسلامي وانتشار رقعة الإسلام. وتسعى دراستنا هذه إلى تسليط الضوء أوّلا على علاقة العالم الإسلامي بالعالم الغربي، وذلك من خلال التركيز على إحدى أهم الوسائل المستعملة في تشكيل هذه العلاقة وتأطيرها وهي اللّغة المستعملة في خطاب الغرب مع الإسلام وعنه، والتي في كثير من الأحيان نجدها مشحونة بالعداء والكراهية والمفاهيم المغلوطة التي يحاول الغرب تصديرها حتى للمسلمين أنفسهم من خلال زرع بعض المفاهيم والمصطلحات التي أصبح المثقفون والأكاديميون العرب يستعملونها دون وعي منهم أحيانا، وثانيا إبراز الدور الإيجابي الذي يمكن

* المؤلف المرسل

للترجمة أن تضطلع به في التصدي لجزء من هذا الخطاب، وذلك عن طريق محاولة تصحيح المحتوى الموجه إلى شعوبنا الإسلامية، لتكون إشكالية بحثنا متمثلة في الآتي:

كيف يمكن استعمال الترجمة للتصدي لخطاب الكراهية والإسلاموفوبيا ومنعه من التغلغل في ثقافة الشعوب العربية المسلمة؟

أمّا بخصوص منهج الدراسة، فسنعتمد المنهج الوصفي التحليلي لوصف خطاب الكراهية ضد المسلمين ودراسته ووصفه وصفا دقيقا وتحليل أبعاده وتجلياته، ومقارنة بعض من مكونات الخطاب الأصلي بترجمته وذلك من خلال اختيار بعض النماذج من خطاب الغرب مع الشرق المسلم وعنه.

الكلمات المفتاحية: خطاب الكراهية؛ الإسلاموفوبيا؛ الشرق والغرب؛ خطاب الكراهية؛ الترجمة.

Abstract:

Our study seeks to shed light on the relationship between the Islamic world and the West through focusing on one of the most important means used in forming and framing it, which is the language used in the Western discourse towards and about Islam, and highlight the positive role that translation may have in addressing part of this discourse which is often hostile and charged with misconceptions. Thus, a descriptive - analytical approach is used to describe hate speech against Muslims and analyse its translation.

Keywords: hate speech, Islamophobia, Western discourse, Islamic world, Translation.

مقدمة:

عرف تاريخ العلاقات بين الأمم عدة مراحل تميّزت كل مرحلة عن الأخرى بنوعية خاصة من الروابط تباينت بتباين الظروف والأحداث، بين تجاذب وتنافر وتنافس ومهادنة وحرب وسلم، من أجل البقاء تارة ومن أجل السيطرة وبسط النفوذ تارة أخرى.

فالغرب مثلا، قد سعى منذ القدم إلى دراسة الشرق والإسلام وكل ما يتعلق بهما من تاريخ وفنون وعلوم وآداب وعادات وتقاليد، راميا بذلك إلى الإحاطة بالشرق والسيطرة عليه، مما أنتج ظهور "الاستشراق" الابن الشرعي للمواجهة بين الشرق والغرب، الذي ترعرع في أحضان الحروب الصليبية والحركة الإمبريالية، وهو فرع خاص من فروع المعرفة مرتبط بالوحدة الجغرافية والحضارية والدينية والثقافية الشرقية، فما كان إلاّ وأن أعدّ الغرب العدة وسخر الوسائل المادية والبشرية.

لقد اتقنت بعض الشعوب والمؤسسات من خلفها، استعمال وسائل خاصة لتصل إلى نوع العلاقة المرغوب فيها مع الشرق الإسلامي، حتى إنّها لجأت أحيانا إلى الاستكانة إلى البغضاء والعداوة والكراهية إمّا باسم الانتماء الجغرافي أو الانتماء العرقي أو الانتماء اللغوي أو الانتماء الديني أو غيرها.

إنّ الصراع بين الشرق والغرب والترقب الغربي لكل ما هو إسلامي يمتد عمره لأكثر من 13 قرن من الزمن ومع ذلك مازال متأججا وإن اختلفت أسلحته وتباينت أساليبه فهو أطول صراع ديني في التاريخ وإن أخذ أشكالا سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية في بعض الأحيان. إذ أنّ أغلب الخلافات والصراعات بين الشرق والغرب يعود سببها إلى الخوف من المد الإسلامي وانتشار رقعة الإسلام.

وتسعى دراستنا هذه إلى تسليط الضوء أوّلا على علاقة العالم الإسلامي بالعالم الغربي، وذلك من خلال التركيز على إحدى أهم الوسائل المستعملة في تشكيل هذه العلاقة وتأطيرها وهي اللّغة المستعملة في خطاب الآخر مع الإسلام وعنه والتي في كثير من الأحيان نجدها مشحونة بالعداء والكراهية والمفاهيم المغلوطة، وثانيا إبراز الدور الإيجابي الذي يمكن للترجمة أن تضطلع به في التصدي لجزء من هذا الخطاب، وذلك عن طريق محاولة تصحيح المحتوى الموجه إلى شعوبنا الإسلامية، لتكون إشكالية بحثنا متمثلة في الآتي:

كيف يمكن استعمال الترجمة لصد خطاب الكراهية والإسلاموفوبيا ومنعه من التغلغل في ثقافة الشعوب المسلمة؟

أمّا بخصوص منهج الدراسة، فسنعتمد المنهج الوصفي التحليلي لوصف الظواهر المراد دراستها وصفا دقيقا وتحليل أبعادها وتجلياتها، ومقارنة بعض من مكونات الخطاب الأصلي بترجمته وذلك من خلال اختيار بعض النماذج من خطاب الغرب مع الشرق المسلم وعنه.

1. حرية التعبير وخطاب التمييز والكراهية

تُعرّف حرية التعبير لغة بأنّها: "إظهار الأفكار والعواطف بالكلام أو الحركات أو قسمات الوجه"[1] وتُعرّف اصطلاحا بأنّها "حق الإنسان في أن يقول ما يشاء ويُعلن ما يعرف أو يرى بأي وسيلة من وسائل التعبير"[2] أي إنّ حرية التعبير تشمل العبير عن مكنونات الإنسان وعما يعرفه وهي ضرورية لتشكيل وعيه وإثبات ذاته في المجتمع الذي يعيش فيه.

فضلا عن ذلك، إنّ اليونسكو، بوصفها هيئة الأمم المتحدة التي تتمتع بولاية محددة في مجال تعزيز حرية التعبير، وحرية الصحافة وحرية الإعلام الملازمتين لها، تعتبر حقوق حرية التعبير والرأي أسسا هامة للديمقراطية، والتنمية والحوار، وشروطا مسبقة لحماية جميع حقوق الإنسان الأخرى وتعزيزها[3] ، كما وضح الإعلان العالمي لحقوق الإنسان—وهي وثيقة مرجعية تاريخية هامة في تاريخ حقوق الإنسان- في مادته 19 أنّ لكلِّ شخص حقُّ التمتُّع بحرّية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحقُّ حرّيته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقِّيها ونقلها إلى الآخرين، بأيَّة وسيلة ودونما اعتبار للحدود[4].

من جهة أخرى يظهر مصطلح التمييز وهو المصطلح القانوني المستخدم في المواثيق والعهود الدولية، لتعريف أي حالة يجري فيها استثناء أو تقييد أو تمييز لشخص أو لجماعة على أساس العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الاثني، بما يؤدي إلى الإنقاص من تمتع هؤلاء بحقوق الإنسان، أو يقيد الاعتراف لهم بها. وفي السياق الصحفي، يمكن أن يتم ذلك عبر تأطير الأشخاص أو المجموعات بصورة سلبية بناء على هويتهم، وبغرض نشر الكراهية تجاههم، أو التحريض عليهم[5].

أمّا "خطاب الكراهية" فهو مصطلح ظهر في الإعلام لأوّل مرة في الولايات المتحدة عام 1989، ليشمل المشكلات التي تتعلق بالخطاب العنصري المؤذي الذي كان محصنا بالقانون الأمريكي تحت بند حماية حرية التعبير.

يختلف خطاب الكراهية عن خطاب التمييز، فالأوّل يستلزم وجود نية مبيتة بالكراهية تجاه جماعة محددة، بعكس خطاب التمييز الذي يمكن أن يرد في القصص الصحفية، دون إدراك من الصحفي أو المؤسسة الإعلامية، لأسباب عدة، كقلة الخبرة في المعايير المهنية الضامنة للموضوعية الصحفية، أو عدم فهم الصحفي لسياق القصة التي يعمل عليها[6].

2.الإسلام وخطاب الآخر الغربي

بعدما كانت ولقرون، أرض الميدان الساحة الوحيدة التي تقام عليها الحروب لإخضاع الآخر بالقوة، ظهر كل من الإعلام والإعلام التفاعلي كجزء من نوع آخر من القوة وهي القوة الناعمة التي تُقلب فيها الحقائق ويتم تأطيرها بغية تحقيق النصر دون اشتباكات بدنية، فانتقل بذلك الصراع مع الإسلام من الميادين إلى الشاشات.

وقد مكّن الغرب وسائل إعلامه من الاستفادة من سطوة متحيزة تسعى من خلالها إلى تأطير (Framing) بعض الجماعات (على غرار الشعوب المسلمة) في إطار سلبي، يضر بصورتها ويشوه حقيقتها، وفي كثير من الأحيان تحول هذا التحيز إلى نوع من التمييز والحض على الكراهية، مما يزيد احتمالية تعرضها إلى العنف[7].

لقد كانت اللّغة من أولى الأدوات التي جُندت على غرار أدوات أخرى كالصورة والأفلام والموسيقى والرموز، فاللّغة التي لطالما كانت أداة تواصل وشأنا من شؤون الهوية لأية أمة كانت، أصبحت جزء من خطاب الكراهية ضد المسلمين أو ما يعرف بالإسلاموفوبيا أو رُهاب الإسلام، وهي الظاهرة التي تحتل حيزا واضحا في تجاذبات العلاقات بين الغرب والمسلمين، سواء كان ذلك على المستوى الرسمي أو المستوى الجماهيري، حتى أصبح العداء للإسلام والعداء للمسلمين أو

العنصرية ضد المسلمين من أبجديات العلاقات التي تحكم التفاعلات الروتينية أو الديناميكية بين الغرب والمسلمين[8].

إنّ الإسلاموفوبيا مصطلح حديث النشأة، شاع استخدامه بعد أحداث الحادي عشر (11) سبتمبر 2001 للتعبير عن مشاعر الخوف من الإسلام ولتوصيف سيناريوهات متنوعة من الأعمال المعادية للمسلمين[9]، غير أنّ ظاهرة الإسلاموفوبيا ظاهرة قديمة بدأت منذ نهاية الثمانيات من القرن الماضي، وهو الوقت الذي يرتبط بانهيار الاتحاد السوفياتي وصعود الإسلاموفوبيا كتشكيل إيديولوجي جديد افترض الغرب أن يحل محل الإيديولوجيا الشيوعية في تهديده وعدائه للغرب[10].

من جهة أخرى ينبغي التوقف عند الإشكالية التي يطرحها هذا المصطلح أي الإسلاموفوبيا، فهو يمثل مظهرا من مظاهر تجليات خطاب الكراهية في حد ذاته، من حيث ربط الخوف بالإسلام وليس بالمسلمين، فلا يقال: (مسلموفوبيا)، مع أنّ استعماله إن وّجد لكان أدقًا، لأنّه سيحدد الخوف من جماعة مسلمة ما مسلحة أو غير مسلحة، وليس من كل المسلمين سواء المتعايشين مع الغرب أو الذين ليست لديهم كراهية تجاههم ولا عدائية في بلاد العرب والمسلمين[11].

وسنتعرض فيما يلي إلى بعض النماذج التي استقيناها من بعض المواقع الإلكترونية الغربية بعد تصفحها، وذلك قصد إيضاح ما ذكرناه أعلاه، فقد لاحظنا جليا وجود العديد من الخطابات التحريضية بما تحمله من شحنات سلبية وتحامل على الإسلام ومقدساته. فمثلا وجدنا العنوان التالي على موقع (https://foreignpolicy.com):

"Islam Is a Religion of Violence"

وتعني الجملة أعلاه حرفيا "الإسلام دين العنف"، ويحاول كاتب المقال (Ayaan Hirsi Ali) في 09 نوفمبر 2015[12]، البحث عن جذور العنف والتطرف الذي تشهده العديد من العواصم الأوروبية وذلك منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 التي قلبت العالم رأسا على عقب وغيّرت الكثير من المفاهيم وجعلت أصابع الاتهام موجهة إلى العالم الإسلامي. ويستذكر عبارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش عندما صرح بأنّ بلاده "ستشن حربا على

الإرهاب" « War on terror » وذلك أشهر قليلة قبل غزو العراق، ويشير إلى أنّ موجات العنف الإسلامية في تصاعد مستمر منذ ذلك الحين خاصة مع سقوط سوريا والعراق في أيدي الدولة الإسلامية، ودخول ليبيا والصومال في حالة من الفوضى، واندلاع حرب أهلية في اليمن، وعودة نظام طالبان في أفغانستان، وجماعة "بوكو حرام في نيجيريا"، وعدم قدرة الساسة على وضع حد "للتهديد الإسلامي" حسبه. كما يذكر الهجمات التي تعرض لها مقر الجريدة الساخرة شارلي إيبدو (Charlie Hebdo)، التي أعادت نشر صور مسيئة للرسول مُحَمَّد ﷺ، وكذا السوبرماركت اليهودي في باريس.

كما لفت انتباهنا فيديو أو بودكاست (podcast) قام بنشره شادي حميد وهو مسلم أمريكي قام ببحث عن الإسلام السياسي والذي عنونه بـ "الإسلام هو فعلا دين معقد"، ويتمثل عنوانه الأصلي في: « Islam is a really complicated religion »[13] بحيث توصل إلى هذه النتيجة بعد أن تبحر في تاريخ الإسلام وفقهه وثقافته ويُرجع هذا التعقيد إلى اختلاف المسلمين عن بعضهم البعض وكأنّ اليهود والنصارى والبوذيين متشابهون !

كما اطلعنا على بحث قام به Moorthy S. Muthuswamy بعنوان: "دور الشريعة والقادة الدينيين في التأثير في الراديكالية العنيفة" ويتمثل عنوانه الأصلي[14] في:

“ The role of Sharia and religious leaders in influencing violent radicalism”

بحيث يعتبر أنّ أكثر ثلاث جماعات إسلامية قتلت أكبر عدد من الأبرياء سنة 2013 كان على رأسها قادة دينيون الذين يدعون إلى العنف والتطرف.

كما نشير إلى أنّ خطابات الكراهية التي تستهدف الإسلام والمسلمين ومقدساتهم وتدعو في أغلبها إلى الكراهية القومية والدينية لزيادة العنف والاضطهاد والتمييز الممارس ضدهم، ويتم ذلك بصفة كبيرة من خلال اللّغة باعتبارها تؤدي وظائف إخبارية وتعبيرية وتفاعلية. كما لفتنا مقال منشور في موقع المكتبة الوطنية الإسرائيلية ويعود لجريدة الحياة الإسرائيلية في عددها الثاني والتسعين

بعنوان "المسلمون شعب غير متمدن" وهو مقال يسيء للمسلمين جميعا دون استثناء وينتقص منهم دون وجه حق.

فضلا عن ذلك، أثارت تصريحات الرئيس الفرنسي ماكرون (Macron) غضب المسلمين عبر العالم، بحيث هاجم الإسلام وصرّح بأنّ "الإسلام ديانة تعيش اليوم أزمة في كل مكان في العالم[15]" وأشار إلى "نزعات انفصالية" في المجتمع الفرنسي، وأضاف بأنّه "على فرنسا التصدي إلى الانعزالية الإسلامية، الساعية إلى إقامة نظام موازٍ وإنكار الجمهورية". وقد توالت ردود أفعال المسلمين الغاضبة، وأصدر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بيانا استنكر فيه هذه التصريحات المغلوطة والتحريضية ضد المسلمين. كما أكّد الأمين العام للاتحاد العالمي للعلماء المسلمين أنّ الإسلام لا يمر بأية أزمة بل المستقبل كله للإسلام وأنّ المشكل يتمثل في مكائد الآخرين والانتكاس الأخلاقي والسياسي في بعض البلدان المعادية للإسلام.

وقصد مواجهة خطاب الكراهية وظواهر التمييز في الإعلام، أصدر معهد الجزيرة للإعلام "دليل تجنب التمييز وخطاب الكراهية في الإعلام" بحيث تضمن تعريفا لكل من التمييز وخطاب الكراهية، وكيفية وقوعهما في الإعلام، وحالات التمييز في الإعلام، وكذا القوانين التي تهدف من الحد من هاتين الظاهرتين والتي تعتبر مجرد ذريعة لقمع حرية التعبير، كما أشار إلى القواعد الأخلاقية والموضوعية للتغطية الإعلامية بعيدا عن التمييز وخطاب الكراهية وكذا الأخطاء المحتملة لذلك.

كما أصدر المجلس الأوروبي "دليل روابط مناهضة خطاب الكراهية عبر الإنترنت من خلال التربية على حقوق الإنسان" واطلعنا على نسخته العربية المنقحة المنشورة في 2020، ويضم تعريفات وتوجيهات خاصة لفئة الشباب باعتبارها الفئة الأكثر استعمالا لمواقع التواصل الاجتماعي، التي أصبحت في الآونة الأخيرة المصدر الأساسي لنشر خطابات الكراهية، وذلك للحد من الكراهية والتنمر وتعزيز حقوق الإنسان عبر العالم. وأشار الدليل إلى ماهية خطاب الكراهية والمتمثلة في كل الأشكال التعبيرية التحريضية والمسيئة والمبنية على العنف ككراهية الغجر، ومعاداة السامية، ورهاب المسيحية، ورهاب الإسلام، والتمييز القائم على أساس الجنس، واضطهاد

النساء وحرمانهن من حقوقهن، وذلك قصد نشر الوعي بخطورة خطاب الكراهية وتعزيز سبل الحوار والتبادل والاحترام.

3. الترجمة إلى اللّغة العربية والإسلاموفوبيا

تتناول هذه الدراسة اللّغة العربية من منظور ترجمي متعلق بالهوية الإسلامية، فقد تحولت الترجمة إلى اللّغة العربية من جسر يربط بين الحضارات ويرأب الصدع بينها، إلى سلاح فتّاك بيد الغرب يحاول من خلاله إلغاء الشرق الإسلامي، حيث أصبحت الترجمة بمثابة ساحة واسعة تشن على أرضها أشرس الحروب، لاسيما تلك المتعلقة بالمصطلحات والصيغ اللّغوية الهجينة والمشحونة بالمفاهيم والمضامين الثقافية النافية لثقافة الذات الإسلامية والمحقرة لها من خلال استهدافها زعزعة مقوماتها وإضعافها بحيث يصبح الخيار محصورا بين الانسلاخ الكلي عن الذات الإسلامية أو ابتداع ذات هجينة هي مزيج بين الذات الغربية والأخرى الإسلامية.

وتحتضن اللّغة العربية المصطلحات والمفاهيم التي من شأنها أن تؤثر تأثيرا عميقا في المرجعية الفكرية الإسلامية، ولعّل أحسن مثال عن ذلك هو ما يحاول نشره الإعلام العالمي من تحريف للحقائق وابتداع لوقائع تخدم بدرجة أولى الآخر المهيمن الذي يرمي في الحقيقة إلى نشر مفاهيم مغلوطة، وأحكامٍ مُسْبَقة، وتصوُّراتٍ ذِهنيَّةٍ خاطئة تجاه المسلمين، على غرار استعمال بعض المصطلحات المتحيّزة التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون عادلة أو صحيحة، فتفريغ كلمة جهاد من معناها الديني النبيل وتحميلها بإيحاءات سلبية ذات صلة بالإرهاب والقتل، يهدف بدرجة أولى إلى زعزعة الذات العربية الإسلامية، واستعمال مصطلح (home) الذي يعني منزل، للدلالة على المستوطنات الإسرائيلية يزكي ضمنيا فعل الاستيطان ويضفي عليه الشرعية.

فضلا عن ذلك، نشير إلى انتشار مصطلح "Islamism" الذي أثار نقاشا كبيرا في أوساط الباحثين باعتباره مصطلحا سياسيا وإعلاميا[16]، يقابله مصطلح "إسلاموية" في اللّغة العربية، ويشير إلى حركات سياسية تهدف إلى التغيير وتؤمن بإمكانية أن يكون الإسلام نظاما سياسيا يؤطر الحياة السياسية والاجتماعية، ويُعرف كذلك بـ "الإسلام السياسي"، وعادة ما تُصادف هذه الحركات

انتقادات واسعة وتُتهم بأنّها تسعى إلى الوصول إلى الحكم والاستفراد به وتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية التي يراها البعض "غير صالحة" لهذا الزمان. وغالبا ما تستعمل وسائل الإعلام الغربية مصطلح "Islamism" أو الصفة "Islamist" لوصف الإسلام والمسلمين بتوظيف ايحاءاته السلبية التي تدل على التحقير والازدراء وتربط بين الإسلام وبين مظاهر العنف والتشدّد. لذلك، ينبغي على المترجم أن يكون واعيا بدلالات هذا المصطلح وإيحاءاته السلبية ويُدرك أبعاد استعماله ويتجنب استخدامه في ترجماته عندما يكون الحديث عن الإسلام كدين وليس كنظام سياسي يتبناه حزب سياسي لتحقيق مصالحه الضيقة، وألاّ يخلط بين المفهومين لعدم إعطاء الفرصة للمتربصين بالأمة الإسلامية لإصدار أحكام سلبية تعميمية تؤدي إلى التحريض على العنف ضد الإسلام والمسلمين.

وفي السياق ذاته، لا بد أن نشير إلى مصطلح "Salafism" الذي يقابل المصطلح العربي "السلفية" إذ يُعد نوعا من الاقتراض الجزئي لكنّه أُخرج من سياقه الأصلي وأُفرغ من معناه الأصلي وأصبح يرتبط بدلالات سلبية تتعلق بالتطرف والتشدد والعنف والغُلو. ويعني هذا المصطلح "اتباع نهج السلف الصالح والتمسك به" ولا علاقة له بالفكر السياسي الحديث، غير أنّنا لاحظنا أنّ الكثير من الأقلام الإعلامية الغربية تتحامل على "السلفيين" وتنعتهم بأسوأ النعوت على غرار "الإرهاب" و"المتعصبين" وتربطهم ببعض الجماعات المتطرفة التي تدعو إلى الخروج عن الحكام العرب وإقامة دولة إسلامية تحكمها مبادئ الشريعة الإسلامية.

ويسري ذلك أيضا على الكتابات الغربية التي تحاول ولو بشكل ضمني الإساءة إلى بعض العادات والممارسات التي أقرها الإسلام فيما يتعلق مثلا بذبح الحيوانات حيث يقال:

Humane method VS Islamic method of killing animals

وكأنّهم يحاولون بذلك القول بأنّ طريقة الذبح المتبعة لديهم هي طريقة صحيحة تقوم على قواعد الرفق بالحيوان بينما تحيد الطريقة الإسلامية عن تلك القواعد وتكون بالتالي طريقة غير رحيمة وغير إنسانية[17].

لذلك فإنّه ينبغي لنا عند الترجمة أن نقول الذبح على الطريقة الغربية مقابل الذبح على الطريقة الإسلامية دون وصف الطريقة الأولى بالرحمة والإنسانية، حتى لا يُفهم في هذا السياق أنّ الطريقة الأخرى أي الإسلامية هي على عكس ذلك.

إضافة إلى ذلك فالشائع بالخطأ هو استخدام كلمة (استعمار) لترجمة كلمة (Occupation) للدلالة على استيلاء العدو – وبخاصةٍ الغرب الأوروبي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين – على الأراضي العربية والإسلامية بالقوة في فترة سُباتٍ كانت من أشد حِقَبِ تاريخ المسلمين ظلامًا. هذا على الرغم من أنّ كلمة استعمار لها مدلولٌ لغوي طيب للغاية[18].

فالاستعمار لغةً يعني: طلب الإعمار أو العمران... استعمره في المكان؛ أي جعله يعمره... استعمر الأرض: عمّرها، أي أمدها بما تحتاج إليه من الأيدي العاملة لتصلح وتعمُر... استعمر اللهُ عبادَه في الأرض، أي جعلهم ساكنيها وعُمّارًا لها. يقول تعالى: "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" من الآية 61 – سورة هود.

كل هذا لا يعني سوى أنّ كلمة استعمار لا تُعبّر إلاّ عن معنى طيب في منتهى الرُّقيّ، يتنافى تمامًا مع المعنى البغيض الذي نقصده للدلالة على الاغتصاب أو الاستيلاء على الأرض بالقوة. وعلى النقيض من ذلك، نجد معنى كلمة (احتلال) هو: استيلاء دولةٍ ما على أراضي دولة أخرى أو جزءٍ منها قهرًا أو بالقوة؛ لذا فهو – باللّغة والمنطق – اللفظ المناسب للتعبير عن هذه الحالة[19].

كما ينبغي الانتباه لكيفية تناول الغرب للقضية الفلسطينية عموما لما لها من مكانة في الوجدان الإسلامي تعود لقدسيتها الدينية من حيث إنّها الأرض المباركة ومهد الرسالات ومهبط النبوات، وهي بيت المقدس وأرض المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين، محط الإسراء برسول الله من المسجد الحرام ومنطلق معراجه عليه الصلاة والسلام، وبها صلى المصطفى عليه الصلاة والسلام بالأنبياء والرسل، في إشارة لأحقية الإسلام بكل الديانات السابقة له، وهي عهد عمر ووصية صلاح الدين، فنلاحظ التغطية الإعلامية لما يدور مثلا من صراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين فإنهم يقولون: Israel and the Palestinians

حتى يستقر بذلك في ذهن القارئ أنّ إسرائيل هي دولة لها كيان قائم أمّا الفلسطينيون فهم أفراد بلا دولة لذلك علينا نحن حين نترجم أن نقول الفلسطينيون والإسرائيليون أو أن نقول فلسطين وإسرائيل (أو الكيان الصهيون) حتى لا نحقق لهم ما يريدون أن يستقر في أذهاننا من سياسية خاطئة يحاولون الترويج لها[20]، فضلا عن استعمال عبارة "The Israeli-Palestinian conflict" باللّغة الإنجليزية وتقابلها عبارة "الصراع الفلسطيني الإسرائيلي" التي تشير إلى أنّ "الكيان الإسرائيلي" يحمل صفة الدولة والأصح قول "صراع فلسطين مع الكيان الإسرائيلي" حتى تعكس الترجمة الواقع الحقيقي وليس الصورة المقولبة التي يسعى الغرب إلى تمريرها حتى تصبح هي الحقيقة. من جهة أخرى فتمثل ترجمة حائط البراق من وإلى اللغة العربية إما بـ:

Le mur des lamentations/ the wailing wall /

أو بـ:

The Buraq Wall/ le mur de Buraq

وكذا رفض ترجمته إلى العربية بحائط المبكى والثبات على المصطلح ذي المرجعية الإسلامية أي حائط البراق، نقطة مفصلية في مقاومة الهجمة على المقدسات الإسلامية التي تسعى في سياق خطاب الإسلاموفوبيا، إلى مسخ وطمس كل ذي مرجعية إسلامية وضمه، وحائط البُراق كما يسمّيه المقدسيّون هو الحائط الذي ربط عنده رسول الله -ﷺ- دابة البراق بحلقة الأنبياء، وهو كذلك أحد أجزاء المسجد الأقصى، ومكانته تأتي من كونه المكان الذي ربط به النبي -صلى الله عليه وسلم- البراق ليلة أُسري به، وقد خضع المسجد الأقصى لتصرّف المسلمين منذ عهد الفتح الإسلامي للقدس في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في صدر الإسلام، ولم يخرج من سيطرة المسلمين حتى في الحروب الصليبية والاحتلال الصليبي للقدس، ولكن أثناء حكم العثمانيين سمحت السلطات العثمانية لليهود المقدسيين بالصلاة قبالة الحائط، ولكن منعتهم من وضع الكراسي؛ لكيلا يصبح المكان فيما بعد مكانًا يهوديًّا للعبادة. (الموقع الإلكتروني سطور.كوم)

بالإضافة إلى المصطلح الإنجليزي "Solomon's Temple" ويقابله في اللّغة العربية مصطلح "هيكل سليمان"[21] أو "بيت المعبد الأوّل" وهو المعبد الذي يزعم اليهود وجوده في مسجد قبة الصخرة وهو جزء من أجزاء المسجد الأقصى، بحيث تقوم قوات الاحتلال الإسرائيلي بحفريات في المسجد الأقصى للبحث عن هذا الهيكل المزعوم في محاولة منها لتقويض أساسات الجوامع المتواجدة في المسجد الأقصى الذي يعد أحد المقدسات الإسلامية. وبالتالي، على المترجم ألا يسهم في نشر هذه الأفكار المزعومة ويذكر "مسجد قبة الصخرة" أو "المسجد الأقصى" بدل "هيكل سليمان" أو "المعبد اليهودي الأوّل" على الأقل كشرح في الحواشي لنشر الوعي بشأن المقدسات الإسلامية وعدم إتاحة الفرصة لليهود للاستيلاء عليها من خلال نشر هذه القصص المختلقة عن وجوده هناك.

وفي السياق ذاته، لفتتنا تسمية "City of David"[22] التي تقابلها في اللّغة العربية تسمية "مدينة داوود" والتي تشير إلى "القدس الشريف" وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين بعد مكة والمدينة، والأصح ترجمتها بتسمية "بيت المقدس" لتفادي تسييس التراث الحضاري والتصدي لمحاولات تهويد القدس.

كما تعج القضية الفلسطينية بمثل هذه المصطلحات والتي لا يتسع المجال إلى شرحها جميعا وتتمثل أبرزها:

مقاوم، مجاهد=مهاجم.

مقاومة=عنف.

مقاتلون=عناصر.

شهيد=قتيل.

جيش الاحتلال=الجيش الإسرائيلي.

قوات الاحتلال=شرطة/أمن الاحتلال.

عدوان=عملية.

الاستيطان اليهودي=الإسرائيلي

الضفة الغربية وغزة=الأراضي الفلسطينية.

الكيان الصهيوني=إسرائيل.

في سياق الحديث عن القضية الفلسطينية، تنتشر مصطلحات كثيرة باللّغة الإنجليزية مثل "The promised land" هي المقابل العربي لكلمة «إرتس» العبرية وهي كناية عن "أرض إسرائيل"[23]، بحيث يترجمها بعض المترجمين بـ "أرض الميعاد" وهي ترجمة تعترف بوضوح بأنّ الأراضي الفلسطينية هي أراضي الكيان الإسرائيلي، والأصح ترجمتها بـ "أرض فلسطين" لعدم تزوير التاريخ وطمس الحقائق.

كما يُشار عادة إلى المسلمين المتدينين الذين يُطبقون تعاليم دينهم بـ "المتعصبين" وتقابلها كلمة "fanatic" في اللّغة الإنجليزية، والمشتقة من المصدر "fanaticism" وهو "التعصب"، وغالبا ما تقابل كلمة "التدين" إذ أصبح الغرب يستعملها مرادفا لهذه الكلمة على نحو عمدي لإثارة الفتن والتحريض على العنف والكراهية، بحيث كثيرا ما تستعمل بعض وسائل الإعلام الغربية كلمة "متعصب" بدل "متدين" عند الحديث عن المسلمين في إشارة إلى المغالاة في الدين التي قد تصل إلى حد التطرف "extremism"، فيُصبح بذلك كل مسلم في نظر الجماهير الغربية "متعصبا" و"متطرفا" و"راديكاليا" كالتالي:

مسلم متدين= متعصب = متزمت= Extremist, fanatic, fundamentalist, radical

لذلك يجب التنبه إلى معاني هذه المفاهيم التي قد يؤدي تداولها إلى انتشار خطاب الكراهية ضد المسلمين، فـ "التعصب"، و"التزمت"، و"الرجعية"، و"التطرف"، و"الراديكالية" لا تعن أبدا "التدين" و"الالتزام الديني" و"تطبيق تعاليم الإسلام بحذافيرها". وبالتالي، يجب أن يكون المترجم واعيا وألاّ يخلط بين هذه المفاهيم ويُدرك سياقات استعمالها والغرض من ذلك باعتبار أنّ لكل رسالة غرضا معينا، فعليه، أن يضع الكلمات المناسبة في مكانها المناسب، وألا ينشر بترجماته مفاهيم مغلوطة عن الإسلام والمسلمين حتى وإن كان ذلك دون قصد، لأنّ الخطابات الدينية تعتبر

خطابات حسّاسة عميقة قد تؤدي إلى نتائج وخيمة إذا لم تُفهم جيّدا ولم توضع في سياقها الحقيقي.

4.حدود الترجمة في مقاومة الإسلاموفوبيا

لا نزعم في بحثنا هذا أنّ الترجمة كفيلة لوحدها بصد خطاب الإسلاموفوبيا فليس من وظيفة المترجم أن يعلّق على الخطابات ولا التّدخل فيها ولا الاجتهاد بها وتفسير معانيها[24].

إلاّ أنّ المترجم يضطلع بمسؤوليّات جسيمة أثناء قيامه بعمليّة التّرجمة عامّة، هذه المسؤوليّات تبلغ أوجّها عندما يتعلّق الأمر بترجمة الخطاب الغربي عن الإسلام ومقدساته، فهو خطاب حساس يُعنى بمحاولة الغرب تكريس مفاهيمه لدى المجتمع الإسلامي وتصدير رؤيته الأحادية المحقرة للإسلام وذلك عن طريق تصدير مصطلحاته المسمومة التي قد لا يتفطن لها غير الضّليع باللّغة وبواقع العلاقات بين الشرق والغرب وسياقات استعمالها والغرض من وراء ذلك.

إذن، على المترجم لاسيما إلى اللّغة العربية التي تعاني من ضعف ناطقيها وعدم سعيهم للذود عنها وحمايتها من الذوبان في اللّغة الإنجليزية – باعتبارها لغة مهيمنة- خاصة إذا علمنا أنّ اللّغات تقوى بقوة أصحابها وتضعف بضعفهم وأنّ الضعيف عادة ما يتمثل القوي ويحاكيه، أن يتّخذ قرارات صعبة ومصيريّة واستراتيجية بوصف الترجمة عملية معقدة وواعية تخضع لعدة اعتبارات عقائدية وسياسية وإيديولوجية لا يمكن التغاضي عنها، كما ينبغي له الحذر الشديد عند اختياره لمصطلحاته وعدم الخلط بين المفاهيم والترويج للمصطلحات التي من شأنها تكريس الصور النمطية والأفكار المغلوطة عن الإسلام والمسلمين.

فضلا عن ذلك، لا يجب الاستهانة ببعض المفاهيم والمصطلحات التي أصبحت تغزو وسائل الإعلام التقليدية والإلكترونية وكذا مواقع التواصل الاجتماعي والتي سعى الغرب إلى نشرها عند الحديث عن الإسلام والمسلمين مثل الإسلام السياسي، والإسلام المتطرف، والإسلام المعتدل، والإسلام الاشتراكي، والسلفيون، والجهاديون، والمتطرفون، وغيرها من المصطلحات والصفات التي تُلصق بالإسلام ظلما وبهتانا دون غيره من الديانات السماوية، فالمسيحية واليهودية في مأمن من

هذه "التُهم والافتراءات". وبناء على ذلك، يجب ألاّ ينساق المترجم –باعتباره وسيطا بين اللّغات والثقافات والديانات– وراء هذه المصطلحات وألاّ يستخدمها وإن اضطر لاستعمالها في سياق ترجماته للأصل، ينبغي عليه اللجوء إلى الإضافات الشارحة (والتي تُعرف في مجال الترجمة بالحواشي الترجمية) والتي من شأنها أن توضح الفرق بين شيّات المعنى (nuances) حتى يتفطن القارئ الذي يجهلها إلى معاني هذه المصطلحات وإيحاءاتها، كما عليه أن يُجيد قراءة الخطابات ويفهم ما يُقصد فعلا ويكتشف الرسائل المبطنة التي ترمي إلى تكريس بعض الأفكار الخاطئة التي من شأنها نشر الكراهية والتحريض على العنف واستباحة المقدسات الإسلامية، إذ تتمثل مهمة المترجم الأساسية في سياق الدفاع عن المقدسات الإسلامية والتصدي لخطاب الكراهية في الحد من استعمال المصطلحات الخاطئة التي ينشرها الإعلام الغربي وتصحيحها كلما أمكنه ذلك.

الخاتمة :

يشهد عصرنا الحالي انتشارا غير مسبوق لخطاب الكراهية وتزايد موجات العنف والتحريض ضد الإسلام والمسلمين في كل أصقاع العالم، وقد أدّى هذا الخطاب إلى تشويه صورة المسلمين وتبرير انتهاك حقوقهم وسلب أراضيهم وتحقيرهم، ولا زال الغرب يسعى بشتّى الوسائل المتاحة وعلى رأسها الإعلام بنوعيه التقليدي والإلكتروني إلى ترسيخ بعض الصور النمطية المسيئة للإسلام والمسلمين والتعدي على مقدساتهم واستباحتها دون وجه حق، بل وأصبح يُصّدر هذه الصور والأفكار المغلوطة للمسلمين أنفسهم من خلال زرع بعض المفاهيم والمصطلحات التي أصبح المثقفون والأكاديميون العرب يستعملونها دون وعي منهم أحيانا، بحيث أصبحت اللّغة أداة طيّعة في أيدي الغرب لمحاربة الإسلام من خلال تزوير التاريخ ومحاولة طمس الهوية وإعادة تشكيل الواقع وفق إيديولوجية غربية معادية للإسلام ومناهضة للمسلمين. وعليه، قد تكون الترجمة أداة فعّالة للمقاومة وللتصدي لخطاب الكراهية والإسلاموفوبيا من خلال توسيع دورها من مجرد نقل الخطابات الغربية إلى اللّغة العربية إلى مجابهة أشكال التحريف والتضليل والتشويه الغربي الممنهج.

التوصيات:

العمل على نشر الوعي لاسيما في الوسط الترجمي ليتأتى للمترجم بذلك التنبه للأبعاد الإيديولوجية والعقائدية والسياسية لعملية الترجمة والفهم الكامل لدلالات الخطابات وإيحاءات المصطلحات والحد من استعمالها والسعي إلى تصحيحها كلما أمكنه ذلك واختيار المصطلحات والعبارات المناسبة وعدم الخلط بين المفاهيم وتفادي الترويج للصور المقولبة والتفطن لمحاولات التلاعب بالمفاهيم وزعزعة العقيدة وبسط الهيمنة الثقافية، بحيث تصبح الترجمة وسيلة من وسائل التغيير الفكري والحوار الثقافي والنضال الديني والتمثيل الواقعي بعيدا عن النوايا التوسعية والمصالح السياسية الضيّقة.

المصادر والمراجع:

1. إسماعيل، صلاح حامد. (2010). الترجمة العربية والإنجليزية المشكلة والحل، مصر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي.

2. جبران، مسعود. (1992). الرائد معجم لغوي عصري. بيروت: دار العلم للملايين.

3. الجنابي، أحمد. (2016). مؤتمر رهاب الإسلام الإسلاموفوبيا: حالة مرضية تجتاح الغرب. مأخوذ من موقع:

4. https://alsharq.com/article/27/04/2016/%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85

5. حجازي، وسام. (2016). الإسلاموفوبيا وأبعادها في النظام الدولي. القاهرة: الوادي للثقافة والإعلام

6. حديد، حبيب. إلياس. (2013). أصول الترجمة. بيروت: دار الكتب العلمية.

7. خمايسة، محمد. (د، ت). دليل تجنب التمييز وخطاب الكراهية في الإعلام. الدوحة: معهد الجزيرة للإعلام.

8. شاكر، إياد صلاح. (2019). ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا). بيروت: دار الكتب العلمية.

9. العبيدي، إبراهيم. (2008). الجرائم الماسة بحرية التعبير عن الفكر، دار الحامد، عمان.

10. علي، عباس مراد. فياض، عامر حسن. (2017). القومية والأمة : مدخل الى الفكر السياسي القومي. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

11. كشوط، عبد الرفيق. (2016). مؤتمر رهاب الإسلام الإسلاموفوبيا: حالة مرضية تجتاح الغرب.

12. https://alsharq.com/article/27/04/2016/%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85

13. موقع الأمم المتحدة:

14. https://ar.unesco.org/themes/press-freedom-all-platforms

15. موقع اليونيسكو: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

16. https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html

17. موقع سطور.كوم:
https://sotor.com/%D8%B3%D8%A8%D8%A8-%D8%AA%D8%B3%D9%85%D9%8A%D8%A9D8%B3%D9%85

18. نبيل، منير. (2017). قل احتلال! ولا تقل استعمار! مأخوذ من موقع: https://www.aljazeera.net/blogs/2017/5/24/%D9%82%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%84-%D9%88%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D9%82%D9%84-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1

الهوامش:

1جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، بيروت، دار العلم للملايين، 1992، ص. 412.

2 العبيدي إبراهيم، الجرائم الماسة بحرية التعبير عن الفكر، دار الحامد، عمان، 2008 ، ص. 42.

3 موقع اليونيسكو: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان
https://ar.unesco.org/themes/press-freedom-all-platforms

4 موقع الأمم المتحدة:
https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html

5 محمد خمايسة. (د، ت). دليل تجنب التمييز وخطاب الكراهية في الإعلام. الدوحة: معهد الجزيرة للإعلام. (ص 5)

6 محمد خمايسة. (د، ت). دليل تجنب التمييز وخطاب الكراهية في الإعلام. الدوحة: معهد الجزيرة للإعلام. (ص 5)

7 محمد خمايسة. (د، ت). دليل تجنب التمييز وخطاب الكراهية في الإعلام. الدوحة: معهد الجزيرة للإعلام. (ص 1)

8كشوط، عبد الرفيق. (2016). مؤتمر رهاب الإسلام الإسلاموفوبيا: حالة مرضية تجتاح الغرب.
https://alsharq.com/article/27/04/2016/%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%

9 شاكر، إياد صلاح (2019). ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا). بيروت: دار الكتب العلمية. (ص229)

10 حجازي، وسام. (2016). الإسلاموفوبيا وأبعادها في النظام الدولي. القاهرة: الوادي للثقافة والإعلام. (ص13)

11 الجنابي، أحمد. (2016). مؤتمر رهاب الإسلام الإسلاموفوبيا: حالة مرضية تجتاح الغرب

12 https://alsharq.com/article/27/04/2016/%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85

13 https://foreignpolicy.com/2015/11/09/islam-is-a-religion-of-violence-ayaan-hirsi-ali-debate-islamic-state

14https://www.brookings.edu/blog/brookings-now/2016/07/19/podcast-islam-is-a-really-complicated-religion/

15 Muthuswamy, M. S. (2016). The role of sharia and religious leaders in influencing violent radicalism. Science, Religion and Culture, 3(1): 1-18.

https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2020/10/02/1372041.html 16

Muthuswamy, M. S. (2016). The role of sharia and religious leaders in 17 influencing violent radicalism. Science, Religion and Culture, 3(1): 1-18.

18 https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2020/10/02/1372041.html

https://www.aljazeera.net/blogs/2017/5/24/%D9%82%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%84-%D9%88%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D9%82%D9%84-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1

19 نبيل، منير. (2017). قل احتلال! ولا تقل استعمار! مأخوذ من موقع:

https://www.aljazeera.net/blogs/2017/5/24/%D9%82%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%84-%D9%88%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D9%82%D9%84-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1

20 إسماعيل، صلاح حامد. (2010). الترجمة العربية والإنجليزية: المشكلة والحل. مصر: أأطلس للنشر والإنتاج الإعلامي. (ص57)

21 مُحَمَّد عبد العاطي (2001) ، هيكل سليمان.. البحث عن السراب ، موقع aljazeera.net https://www.aljazeera.net/news/arabic/2001/7/29/%D9%87%D9%8A%D9%83%D9%84-%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A8

Jerusalem 2008https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-city-of-david: 22 Archaeological Sites: The City of David

23 عبد الوهاب المسيري (1999)، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، مصر: دار الشروق http://islamport.com/d/1/aqd/1/321/1438.html

24 حديد، حبيب. إلياس. (2013). أصول الترجمة. بيروت: دار الكتب العلمية. (ص. 299)